

الفصل العاشر

لبنان

فتح العرب المسلمون لبنان عندما تقدموا في بلاد الشام، وبقيت جماعات من النصارى التي تعود في أصولها إلى المردة في المرتفعات، فأهملها المسلمون لضآلة شأنها، وقد كانت هذه الجماعات على صلة مستمرة بالرومان نتيجة الاتفاق في العقيدة على الرغم من أنها عاشت بين المسلمين في أمن واستقرار وراحة وحرية، ومع هذا الاتصال منهم بأولئك الرومان كان المسلمون يعفون عنهم في كل مرة من باب الرحمة وإعطائهم درساً في الحرية.

ثم انتشر مذهب الدروز في مطلع القرن الخامس في وادي التيم، ثم توسع وانتشر، ومع ذلك بقي لبنان جزءاً من بلاد الشام، وبقي تاريخه جزءاً من تاريخها، وجاء العثمانيون وخضع لهم لبنان كبقية مناطق الشام، وكان نفوذ الدروز قد زاد؛ وتسلم فخر الدين المعني إمارة لبنان... أثناء دخول العثمانيين فساعدهم رغبة في زيادة نفوذه، ولكن عندما ظهرت أطماعه عزل، وعزل ابنه قرقماس، ثم قام فخر الدين المعني الثاني في النصف الأول من القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي) وبدأ يتصل بالإمارات الإيطالية، ويقوّي نفوذه، ولما استد ساعده ثار ضد العثمانيين، واستطاع ضم أجزاء مما جاوره إلى إمارته، فجرد العثمانيون إليه حملة هزمته في المرة الأولى، ففر إلى إيطاليا ثم عفت الدولة عنه فعاد إلى سيرته الأولى فهزم أخرى، وقبض عليه وقتل عام ١٠٤٥ هـ (١٦٣٥ م)... ويُعد في نظر الأوربيين عظيماً لأنه كان على صلة معهم ضد العثمانيين المسلمين، وعن

الأوربيين نقل التاريخ، ثم زاد التركيز على هذا الرجل مع نشوء فكرة القومية، والتصادم مع الفكرتين القوميتين المتجاورتين، ومن الصعب التعايش بين القوميات نتيجة التعصب، وهو درزي، ضد المسلمين وليس من أمر يرفعه غير القومية حيث كان درزياً ضد المسلمين، وعلى صلة مع الطليان وهذا ينافي ما يسمى بالوطنية^(١).

وبعد المعنين برز اسم الشهابيين في لبنان وهم من الدروز أيضاً، وتسلموا إمارة المنطقة، وظهر بشير الشهابي فجمع الدروز إليه وجلبهم من مناطق في شمالي سورية، وقوي أمره، وحكم لبنان، وساعده أحمد باشا الجزائر ضد بعض خصومه وتسلم مكانهم، ومنهم ابن عمه يوسف الشهابي بعد قتله. وتوقف عند قدوم نابليون إلى عكا عن مساعدة الجزائر، وعندما فشل نابليون في دخول عكا ورجع عنها بدأ الجزائر يضايق الشهابي حتى أجبره على الفرار من لبنان، ثم تدخلت إنكلترا ومحمد علي لدى الجزائر فأعيد الشهابي إلى إمارته، وقال: إن هذا التدخل كان بداية الصلة بين الدروز وإنكلترا والتي امتدت إلى الآن^(٢).

ثم انضم الشهابي إلى والي عكا الجديد عبد الله الخازندار في نزاعه مع السلطان، وعندما هزم عام ١٢٣٨ هـ (١٨٢٣ م) فر الشهابي إلى مصر، فتوسط محمد علي باشا لدى السلطان وعاد الشهابي إلى لبنان.

وانضم الشهابي إلى جيوش إبراهيم باشا عندما دخلت بلاد الشام. . . ولما كانت لبنان تضم جماعات من النصارى وأخرى من الدروز انتقل بشير

(١) حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، بيروت ١٩٣٢.

(٢) نفس المرجع.

الشهابي إلى النصرانية المارونية ليكسب تأييدهم ما دام ضامناً جماعته الدروز، ومات عام ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) بعد صداماته مع النصيرية، وطردهم من الشمال^(١).

وضعت الدولة العثمانية، وبدأت الدول الأوربية تتصل بالأقليات، وخاصة في لبنان وتحرضهم ضد العثمانيين، وكانت فرنسا قد وطدت علاقاتها مع الموارنة، ووثقت إنكلترا صلاتها مع الدروز، ومع التنافس الاستعماري بين فرنسا وإنكلترا امتد الخلاف إلى أصدقاءهم، ونتيجة هذا الخلاف اضطرت الدولة العثمانية عام ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م) إلى تقسيم جبل لبنان إلى قسمين شمالي عينت عليه حاكماً نصرانياً مارونياً، وجنوبي وعينت عليه حاكماً درزياً، ومع ذلك وقعت الاضطرابات والحوادث الدموية عام ١٢٦١هـ (١٨٤٥م)، فأوجدت الدولة مجلساً منتخباً بجانب كل حاكم، ثم تجددت الاضطرابات عام ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م)، وتدخلت الدول الأوربية صاحبة النفوذ، وأرسلت فرنسا حملة مؤلفة من ستة آلاف جندي، إلا أن الدولة العثمانية قد أسرع وحلت الموضوع بشكل يرضي النصارى. . فعندما وصلت الحملة الفرنسية وجدت الأمر منتهياً فاضطرت إلى الانسحاب بعد أن قدمت الهدايا لأنصارها^(٢).

وجاءت لجنة من الدول الأوربية إلى إستانبول، واتفقت مع السلطان العثماني على منح جبل لبنان نظاماً إدارياً خاصاً، حيث يصبح متصرفية مستقلة استقلالاً إدارياً يديرها نصراني من خارج لبنان، يقترحه السلطان وتوافق عليه

(١) عبد العزيز نوار، وثائق أساسية في تاريخ لبنان الحديث، بيروت ١٩٧٤.

(٢) المرجع نفسه.

الدول الأوروبية ويتصل مباشرة بالسلطان دون الرجوع إلى ولاية دمشق، ويساعد هذا الحاكم مجلس يمثل الطوائف جميعاً، وكانت هذه المتصرفية لا تشمل سوى الجبل، وبقي هذا الوضع قائماً حتى الحرب العالمية الأولى.

وعندما تم الاتفاق بين إنكلترا وفرنسا على تقسيم المناطق التي كانت خاضعة للدولة العثمانية (اتفاقية سايكس - بيكو) كانت منطقة لبنان ضمن مناطق النفوذ الفرنسية. وعندما انسحب العثمانيون من بلاد الشام، ودخلتها القوات العربية والإنكليزية، أنزلت فرنسا قوات لها على الساحل وبقيت مرابطة هناك باسم الخطة الحربية، واستمرت بعد وقف الحرب وإعلان الهدنة، ثم قرر الحلفاء في سان ريمو الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان. وجاء المندوب السامي الجنرال غورو إلى لبنان، ومنها تقدّم، ودخل دمشق، كما رأينا^(١).

وفي ١٦ من ذي الحجة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) أصدر غورو قراراً نص على إيجاد دولة لبنان الكبير تتألف من متصرفية جبل لبنان، ولواء بيروت الذي يضم صيدا، وصور، ومرجعيون، وكذلك من منطقة طرابلس التي تضم قضاء عكا، ثم أربعة أقضية هي بعلبك، والبقاع، وحاصبيا، وراشيا، وقد أخذت من ولاية دمشق، وعيّن على هذه الدولة الجديدة حاكماً فرنسياً، وجعل اللغة الفرنسية لغة التعليم بدلاً من اللغة العربية، ولم يبق بين هذه الدولة ودمشق من صلة سوى مصلحة الجمارك، بعد أن كانت جزءاً من بلاد الشام في العصور التاريخية جميعها.

(١) فيليب حتي، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور وحتى عصرنا الحاضر، بيروت ١٩٥٩م.

وفي عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) أصدر المندوب السامي دستوراً أصبح بموجبه لبنان جمهورية، وعين شارل دباس أول رئيس جمهورية في لبنان، ثم علق المندوب السامي الدستور عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) وأصدر للجمهورية نظاماً مؤقتاً وعين بموجبه حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) مدة عام ثم حددت له الرئاسة.

وفي عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) عقد مجلس النواب جلسة وانتخب فيها أميل آدة رئيساً للجمهورية، وبعد عام أصدر المندوب السامي قراراً جعل فيه مدة الرئاسة ست سنوات ولفترة واحدة. ويمكن إعادة انتخاب رئيس الجمهورية أخرى بعد مرور ست سنوات على تركه الرئاسة أول مرة^(١).

وعقدت فرنسا معاهدة مع لبنان عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) على نمط المعاهدة الفرنسية السورية التي تم عقدها في ذلك العام، وتضمنت السماح للقوات الفرنسية بالبقاء في لبنان دون تحديد زمن لذلك البقاء.

قامت الحرب العالمية الثانية، وهزمت فرنسا أمام ألمانيا، وتشكلت حكومة فيشي الموالية للألمان، وتبعته أكثر المستعمرات ومناطق النفوذ، ومنها سورية ولبنان، وأرسلت لها مندوباً سامياً هو الجنرال دانتز، ثم لم تلبث أن دخلت بلاد الشام قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديغول مع القوات الإنكليزية، أصبح الجنرال (كاترو) هو المندوب السامي الجديد، وقد أراد التقرب من الشعب فأعلن أنه قادم لإنهاء الانتداب واستقلال البلاد، ولكن عندما أراد الإبطاء في وعده بدأت مطالبة الشعب فاضطر إلى إعلان الاستقلال عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) بعد إعلانه استقلال سورية

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٧، ساطع الحصري، يوم ميلون، ١٩٤-١٩٥.

(٢) كمال صليبي، تاريخ لبنان الحديث، بيروت ١٩٦٩.

بشهرين (٢).

استقال رئيس الدولة أيوب ثابت ورئيس الحكومة سامي الصلح، وتشكلت حكومة برئاسة الفرد ثابت، وأشرفت على انتخابات نيابية عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م)، وانتخت بشارة الخوري رئيساً للجمهورية، فكلف رياض الصلح بتشكيل الوزارة، وعندما ألقى رئيس الوزارة بيانه الوزاري الذي عرف بوثيقة الاستقلال، وأصبح العرف هو الذي يحكم به لبنان فيتألف المجلس النيابي من ٩٩ نائباً ينتخبون على أسس طائفية مدة أربع سنوات، فيمثل النصارى ٥٤ نائباً والمسلمون بالطوائف المتعددة التي تدعي الانتساب إلى الإسلام ٤٥ نائباً.

وبمقتضى هذا العرف يكون رئيس الجمهورية من النصارى الموارنة، وهو رئيس السلطة التنفيذية، والوزير الأول الذي يطلق عليه رئيس الوزراء

عدد النواب	النصارى	عدد النواب	المسلمون
٣٠	موارنة	٢٠	من المسلمين (السنة)
١١	أرثوذكس يونان	١٩	من المسلمين (الشيعة)
٦	كاثوليك يونان	٦	الدروز
٤	أرثوذكس أرمن		
١	كاثوليك أرمن		
١	بروتستانت		
٥٣		٤٥	

* ١ للطوائف الأخرى

من المسلمين السنة، ورئيس المجلس النيابي من المسلمين الشيعة، كما يكون قائد الجيش من النصارى أيضاً، ويكون نائب رئيس المجلس النيابي من النصارى الأثوذكس. ومع أن هذا التقسيم لا يعتمد على إحصاءات دقيقة إذ إن نسبة المسلمين في لبنان تزيد على ٥٧٪ إلا أن هذا العرف بقي هو المعمول به، ويصر عليه النصارى.

إلا أن المندوب الفرنسي الجديد «هيلو» قام يوم ١٣ من ذي القعدة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة، وبعض أعضاء الحكومة، ونائب طرابلس عبد الحميد كرامي، وزجهم في قلعة راشيا سجناء، وأصدر مرسوماً بحل المجلس النيابي، وإلغاء الدستور، وتعيين أميل آدة رئيساً للجمهورية، فحدثت الاضطرابات وعمت الفوضى، وجاء الجنرال كاترو إلى بيروت، واضطرت الحكومة الفرنسية بعد أحد عشر يوماً إلى إعادة الحكومة الشرعية، ورئيس الجمهورية^(١).

أجليت الجيوش الفرنسية عن لبنان في ٥ من ذي القعدة عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) أي بعد جلائها عن سورية بخمسة أشهر ونصف.

ومنذ عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) بدأ نفوذ الولايات المتحدة يزداد في لبنان، وعندما أراد كميل شمعون تجديد انتخابه لرئاسة الجمهورية المرة الثانية حدثت اضطرابات، وبدأت بوادر الحرب الأهلية، وتقدم الأسطول الأمريكي نحو سواحل لبنان، فتنازل شمعون كرها عن رأيه، وانتخب فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية في غرة عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م)، وغادرت

(١) توفيق برو، العرب والترك، بيروت ١٩١٦، ص ٤٣٢-٤٣٣.

أحمد طربين، لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الانتداب، القاهرة ١٩٦٨.

القوات الأمريكية لبنان بعد شهرين .

ثم انتخب شارل الحلو لرئاسة الجمهورية، وحدثت عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) مصادمات بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين، وفي عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) انتخب سليمان فرنجية رئيساً للجمهورية، وفي عهده حدثت الحرب الأهلية ١٣٩٥-١٣٩٧هـ، وتلاه إلياس سركيس، ودخلت قوات الردع لبنان، وحدثت فوضى شديدة، وحاول الموارنة الاستقلال بجزء من البلاد حتى قسمت العاصمة بيروت إلى قسمين: شرقية بيد الكتائب (أكبر أحزاب الموارنة) وغربية بيد المسلمين .

ولم ينته الأمر حتى حدثت انتخابات رئاسة الجمهورية، لكن اليهود احتلوا لبنان وحاصروا بيروت الغربية، ولم يتمكنوا من دخولها حتى خرجت منها المقاومة الفلسطينية برأسها حرصاً على المدينة .

وارتكب اليهود جرائم نكراء بحق الفلسطينيين بعد خروج المقاومة، إذ ذبحوا ستة آلاف نفس بين طفل، وامرأة، وشيخ، وذلك في مخيمي صابرا وشاتيلا .

وكان رئيس ميليشيات الكتائب بشير الجميل قد انتخب رئيساً للجمهورية، ولكنه قتل في حادث تفجير، إذ نسف البناء الذي كان يلقي فيه خطاباً، ويبدو أن لليهود يداً في الأمر لإثارة الفتنة بين المسلمين والنصارى، وهذا حق فقد أعقب ذلك جريمة صبرا وشاتيلا .

واختير أمين الجميل خلفاً لأخيه المقتول، واليهود لم يخرجوا بعد من لبنان، ووقعت حوادث بين النصارى والدروز بتحريض من اليهود الذين

يدعمون الدروز تارة والنصارى تارة أخرى .

ولبنان له وضعه الخاص ، إذ يتركز المسلمون في طرابلس وعكار والساحل ، ويزداد الشيعة في الجنوب وبعبك ، ويكثر الدروز في الشوف والمتن ، ويتركز النصارى في بقية الجبل شمالي طريق دمشق - بيروت .

وأخيراً توقفت الحرب الأهلية ، وانتخب إلياس الهراوي رئيساً للجمهورية . ولا يزال لسورية دورها في لبنان^(١) .

وفي عام ١٩٩٩م انتخب الرئيس إميل لحود رئيساً لجمهورية لبنان بعد انتهاء فترة رئاسة إلياس الهراوي .

(١) كمال صليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، بيروت ١٩٦٩ ،

د . محمود منسي ، الشرق العربي المعاصر ، ص ٢٧٧-٣٠٠ .